الباب السادس

خطورة البكتاشية

obeikandl.com

obeikandl.com

خطورة البكتاشية وعقائدهم:

تكمن خطورة الطريقة البكتاشية في أن نتائجها تكون بث الوهن في عضد الإسلام من خلال:

١- بعث النزعة القومية الضيقة:التي امتطت البكتاشية صهوتها كحركة تعمل على إسقاط الخلافة العثمانية، بخلاف الحركة القومية الألبانية التي تأسست عام ١٨٧٨ وتعرف برابطة برزرن، إذ كانت الحركة القومية الألبانية فريدة في نوعها بالمقارنة مع الحركات القومية في البلدان الأخرى، حيث طالبت بوحدة الأراضي الألبانية ولم يكن جل زعمائها يرغبون في الانفصال عن الدولة العثمانية وإن كان فيهم من يرغب فى إقامة دولة مستقلة فإنما كانوا يخشون في حالة سقوط الدولة العثمانية أن توزع بلادهم بين جيرانهم الطامعين ومن هنا كانوا يرون أن التمتع بالحكم الذاتي في إطار الدولة العثمانية خير ضمان للمحافظة على شخصيتهم القومية حتى اعتلتها البكتاشية فعملت على إثارة النعرة القومية بالمعنى الجاهلي المغرض، وإن ظهر دعاتها بمظهر الغيورين على أمجاد الألبان، ولا أدلّ على ذلك من تضامن علي باشا يانينا مع الثورة اليونانية لإسقاط الخلافة العثمانية،التي أفضت فيما بعد إلى تقسيم أوصال أراضي الألبان لليوم بين الصرب والإيطاليين واليونان.

٢- تحريف الدين: حيث تعمل على نشر الخرافة والدعوة إلى التشيع والانحلال عن الدين بتحليل الحرام وترك الفروض، فالطريقة البكتاشية مزيج كامل من عقيدة وحدة الوجود، وعبادة المشايخ وتأليههم، وعقيدة الشيعة في الأئمة يقول أحمد سري دده بابا شيخ مشايخ الطريقة: الطريقة العلية البكتاشية هي طريقة أهل البيت الطاهر رضوان الله عليهم أجمعين، ويقول أيضاً: والطريقة العلية البكتاشية قد انحدرت أصولها من سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وعن أولاده وأحفاده إلى أن وصلت إلى مشايخنا الكرام يداً بيد، وكابرا عن كابر، وعنهم أخذنا مبادئ هذه الطريقة الجليلة.

والناظر في الأوراد البكتاشية يرى كيف أسست هذه الأوراد على عقيدة الشيعة الإمامية الإثني عشرية، فالورْد البكتاشي يبدأ بذِكر لله ثم للرسول ثم لعلي ثم لفاطمة ثم للحسن ثم للحسين ثم لعلي زين العابدين ثم الباقر، وهكذا إلى الإمام الثاني عشر عند الشيعة ثم الإعلان أن الذاكر بهذا الذكر متولٍّ للشيعة، بريء من جميع أهل السنة، ثم بعد ذلك ورد خاص في لعن الصديق أبي بكر رضي الله عنه، وكل من رضي وتابع له، ثم في النهاية إشهاد الله أن الخلفاء بعد الرسول هم الأئمة الإثنا عشر دون غيرهم.

ويكفي على إثبات تشيعهم ما يسمى بورد التولي والتبري فإنهم يقولون: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وما توفيقي واعتصامي إلا بالله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً والصلاة والسلام على رسولنا محمد الذي أرسله بالهدى قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى وعلى آله وأصحابه وأزواجه الهدى يا سادتي ويا موالي إني توجهت بكم أنتم أئمتي وعدتي ليوم فقري وفاقتي وحاجتي إلى الله وتوسلت بكم إلى الله واستشفعت بكم إلى الله وبحبكم وبقربكم أرجو النجاة من الله تكونوا عند الله رجائي يا سادتي يا أولياء الله صلى الله عليكم أجمعين اللهم إن هؤلاء أئمتنا وساداتنا وقادتنا وكبراؤنا وشفعاؤنا بهم نتولى ومِن أعدائهم نتبرأ في الدنيا والآخرة والْعن من ظلمهم وانصر شيعتهم واغضب على من جحدهم وعجّل فرجهم وأهلك عدوهم من الجن والإنس أجمعين من الأولين والآخرين إلى يوم الدين اللهم ارزقنا في الدنيا زيارتهم وفي الآخرة شفاعتهم وزدنا محبتهم واحشرنا معهم وفي زمرتهم وتحت لوائهم بمنّك وكرمك يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين والحمد لله رب العالمين اللهم صلِّ على محمد وآل محمد.

قامت البكتاشية بتفسير العبادات والتكاليف الشرعية على طريقتها الخاصة فقد أباحت لأعضائها عدم تأدية التكاليف الشرعية من صلاة وصوم وغيرها كما أحلت لهم شرب الخمر وغيره من المحرمات، وفي مقابل هذا أقامت البكتاشية تكاليفها ومؤسساتها الخاصة بها (التكية) التي خلت من القبلة فاجتماعات الذكر والتذكر للمراتب المختلفة التي تنوب عن الصلاة تتخذ شكل الدائرة بحيث يقابل كل إنسان وجه آخر، وفي هذا لا يحتاج البكتاشيون للاتجاه إلى قبلة معينة اذ ليس لك أفضل عندهم من أن تقابل أو توجه ذاتك نحو إنسان آخر.

وعلى ما يبدو شجعت هذه الأمور بالإضافة إلى دعوة البكتاشية إلى وحدة الوجود قطاعاً من المسلمين من الذين بقيت فيهم رواسب المسيحية من جنود الانكشارية، حيث وجدوا في البكتاشية حلاً نوعياً يمكّنهم من الجمع بين مسيحيتهم السابقة وإسلامهم المعلن.

الجمع بين القومية والتشيع:

كرست البكتاشية المعاني الثورية من ثورة الحسين بن علي رضي الله عنهما لتجمع بين التشيع والانفصال عن الخلافة العثمانية، الأمر الذي شجّع العديد من قواتهم على دعم الثورة اليونانية لإسقاط الخلافة العثمانية، ومن هذا القبيل ما كتبه شاعر الأدب الألباني البكتاشي نعيم فراشري الذي عكف على كتابة ملحمة كربلاء بعشرة آلاف بيت من

الشعر حيث قسمها إلى خمسة وعشرين فصلاً مرقمة بدون عناوين وختمها بالمناداة بالروح القومية للخروج عن الخلافة العثمانية.

يقول الدكتور محمد موفاكو: وبهذه الروح القومية يختتم نعيم ملحمته فهو يحاول أن يربط كربلاء وشخصياتها بشكل ما بمصير ألبانيا والألبانيين فهو يريد من الألباني أن يستلهم كربلاء لمصلحة وطنه وقوميته ليموت في سبيل وطنه كما مات المختار في سبيل الحسين فيقول: يالله لأجل كربلاء لأجل الحسن والحسين لأجل الأئمة الإثني عشر اللذين عانوا ما عانوه في الحياة لا تترك ألبانيا تسقط أو تدمر لتبق خالدة وليكن لها ما تريد ليبق الألباني بطلاً كما كان ليحب ألبانيا ليمت في سبيل وطنه كما مات المختار في سبيل الحسين!.

٣- تبني الاتجاه العصراني: لما كان مفهوم العصرانية كحركة هو تطويع مبادئ الدين لقيم الحضارة الغربية وفق آليات تعتمدها الجهات المستفيدة من هذا التطويع وهي حتماً لا تلبس لبوس الإسلام افتقرت الحركة إلى مطيّة تصلح لهذا الغرض، وقد وجد الغرب ضالته في بعض الفرق والطوائف لتكون باباً يُمرِّر من خلاله ثقافته، ويؤكد هذا ما جاء في توصيات تقرير مؤسسة راند بدعم الاتجاهات المنحرفة لتمرير مفاهيم العلمانية، كيف لا والبكتاشية لا ترى فروقاً بين المسلمين وغير المسلمين حتى أنها تسمح لمن هم على غير ملة الإسلام بالانضمام

إليها، ويحتفلون بالأعياد المسيحية خاصة عيد الفصح، كما يقدسون أضرحة الديانات الأخرى وقد قيل أن تكايا البكتاشية الموجودة في ألبانيا كانت تضم إليها حوالي خمسين إلى ستين مريداً نصرانياً، كما أنهم لا يرون ضرورة لوجود الخلافة، بل إنها ترفضها وتعتقد أنه ينبغي ألا توجد خلافة من الأساس، لأنها باتفاقهم تجلب المظالم والطغيان والجور.

وقد شهد تاريخ الطريقة البكتاشية تحالفها مع غير المسلمين ورفضها للخلافة بتعاونها مع حركة تركيا الفتاة في اتجاه الانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني وقد كان هذا التعاون مرشحاً لبروز تقارب بين الحركتين لا سيما أن بعض رموز حركة تركيا الفتاة مثل طلعت باشا وأحمد رضا كانوا ينتمون إلى البكتاشية.

وقد أشار الأستاذ ج كايتانوا في كتابه تاريخ الحركات الدينية في البلقان إلى أن البكتاشية مثلها مثل الحركات الدينية قامت في شكل أحزاب معارضة للحكم العثماني وتعاونت فيما بينها واقتبست كل واحدة من مبادئ الأخرى وكان التعاون عميقاً بين البكتاشية والجمعية اليهودية السبتاتية جمعية الدونمة.

وهذا الذي يفسر توسع نفوذ البكتاشيين في عهد مصطفى كمال أتاتورك :فيتبين من علاقتهم بأتاتورك وتقربه إلى هذه الطريقة للاستفادة من تأثيرها الديني وكثرة أتباعها الذي كانوا يقدرون

بالملايين، وقد قام أتاتورك بزيارة تكية البكتاشية الكائنة في قيصرية وكان جمال الدين أفندي هو شيخ الطريقة في ذلك الوقت، وكان يتزعم ستة ملايين بكتاشي في الأناضول، وكان نائب مدينة قير شهر في البرلمان التركي عند افتتاحه عام ١٩٢٠م وكان أيضا نائب رئيس البرلمان، والشخص الثاني في الطريقة بعده يدعى صالح نهازي بابا ويقوم مقام البابا في الطريقة وكان العلويون عامة والبكتاشيون خاصة لا يخرجون عن طوع هذين الرجلين.

وبعد وفاة جمال الدين عام ١٩٢٢ خلفه على الطريقة أخوه ولي الدين وألقى خطاباً في البرلمان التركي كشف فيه عن مساندة العلويين والبكتاشيين لحكومة الجمهورية بقيادة أتاتورك، وأهم ما جاء فيها: إلى كل المحبين المخلصين لجدي حاجي بكتاش ولي إن تصريحات وبيانات الفاتح مصطفى كمال باشا الجليل رئيس مجلس الأمة التركي تبعث الشرف للأمة الإسلامية كلها وتضمن إحياء واستقلال أمتنا وكلها معلومة لدينا جميعا، وأنه من الواجب علينا تنفيذ كل مطالب الفتاح الباشا بخصوص رقي وعلو هذا الوطن، وجميع أفكاره صائبه وأن من ينكر هذا فلا علاقة لنا به أبداً.

البكتاشية المرشح المحتمل لمقارعة السلفية:

الخيارات المطروحة من الخليط الإسلامي الأكثر تماشياً مع السلم العالمي والمجتمع الدولي، المُحبّة للديمقراطية والحداثة، والقادر على الوقوف في وجه المد السلفي في البلقان؛ هو ما يسمى بـالإسلام التقليدي الذي تردد كثيرا على ألسنة المنادين به في الآونة الأخيرة، تدعمهم جحافل البكتاشية بمباركة غربية وهي شنشنة نعرفها من أخزم؛ يقول الدكتور أحمد عبد الرحمن القاضي: وهو أسلوب ينتهجه الغرب لمواجهة المد السلفي، في محاولة لنفخ الروح في الرمم البائدة للطرق الصوفية، لمزاحمة التيار السلفي الفطري فلم يزل أعداء الإسلام، يجدون في الصوفية، مأوى لكل حدث، ونجس موَّلوا بناء أضرحتهم، وأعادوا طباعة كتبهم، وأقاموا لأجلهم الندوات والمؤتمرات، وأنشأوا لهم المراكز التعليمية.

ويجري برنارد لويس، مقارنة بسيطة، فيقول: هل نحن كأمريكيين سندعم الصوفيين، أم سنعمل مع الوهابيين؟ إذا عملنا مع الوهابيين، فإننا سنخاطر، بينما ليس هناك خطر مع الصوفيين ويقول ستيفن شوارتز: يجب على أعضاء السلك الدبلوماسي الأمريكي في المدن الإسلامية، من بريشتينا في كوسوفو، إلى كشغار في غرب الصين، ومن

فاس في المغرب، إلى عاصمة إندونيسيا جاكرتا أن يضيفوا الصوفيين المحليين على قائمة زياراتهم الدورية.

وتقول ميرندا فكرز: تاريخياً، كان هناك نوعان من الإسلام المعتدل في ألبانيا البكتاشيين والسنة (الأحناف) وعلى الرغم من أن البكتاشية من عموم الشيعة غير التقليدية القائلين بوحدة الوجود في الإسلام وأن الله يمكن أن يُرى في الطبيعة والحيوانات فضلاً عن البشر فإن البكتاشية أغضبت المسلمين المحافظين بتجاهل القواعد الإسلامية الأكثر تقليدية، مثل الامتناع عن الكحول، وحجاب المرأة، ووجوب التوجه نحو مكة المكرمة في الصلاة، كما أنهم تاريخياً، دعوا الشيعة للانتقام من السلطة العثمانية السنية، ونادوا بالتسامح مع جميع الأديان غير الإسلامية وهذا ما يفسر، جزئياً، سبب نمو الطائفة نمواً مطرداً في ألبانيا، كما سهل تعاونها مع الكاثوليك في الشمال والأرثوذكس في الجنوب على حد سواء.

وفي عام ١٩٢٠، كتبت امرأة إنجليزية تدعى مارجريت هازلوك، دراسة مفصلة عن البكتاشيين في ألبانيا ولاحظت فيها أن البكتاشية كانت عاملاً قوياً في صناعة التاريخ والسياسة الألبانية، حيث عملت على مصالحة الإسلام والمسيحية لدرجة كافية بأن يتناسوا العمر الطويل من الكراهية، ويتعايشون بذات القوة ضمن ذلك الدين.

كما كان للبكتاشية الريادة في الحركة الوطنية الألبانية المناهضة للعثمانية في القرن التاسع عشر، وحافظت تاريخياً على بنية مؤسسية منفصلة عن المشيخة الإسلامية الرسمية في ألبانيا.

وأفضل القول في وصف البكتاشية بأنها اليوم دين الأرياف والقرى، على العكس من الإسلام السني الذي عزز وجوده في البلدات والمدن وبالرغم من أن هناك فرقاً باطنية من الصوفية والدراويش مثل الطريقة الخلوتية ، والقادرية، والرفاعية، والتيجانية، والسعدية، التي كانت حاضرة في ألبانيا منذ قرون ولديهم تكاياهم الخاصة، ولهم علاقات جيدة مع البكتاشيين، إلا أن هذه الأخيرة تتهم بأنها تميل إلى احتكار المشهد الباطني بأكمله.

لكن بعد فتح المجال لسفر الآلاف من الشباب الألباني المسلم السني إلى الدول العربية والآسيوية منذ منتصف عام ١٩٩٠م بعد حصولهم على منح تعليمية، حيث درسوا وتبنوا مدارس دينية أخرى مخالفة للمذهب الحنفي السائد في منطقة البلقان، هيمن هؤلاء الطلاب على العديد من المساجد والمدارس والمؤسسات الإسلامية في ألبانيا، حيث تشق الدعوة الأصولية طريقها بين المسلمين في ألبانيا في مجالين رئيسيين هما: تدريب الأئمة، وتوزيع المؤلفات الدينية.

وهذا يعكس أوجه قصور خطيرة في موارد وأنشطة المشيخة الإسلامية الألبانية، التي تعاني من متاعب في تمويل وتدريب الأئمة، الأمر الذي أدى إلى تكوين جماعتين متنافستين داخل المشيخة الإسلامية وهما:

هيئة تمثيلية رسمية فضفاضة تدير أنشطة المساجد في البلاد، تتبنى المذهب الحنفي وتدعو إلى تفسير تقليدي أكثر ليبرالية للإسلام؛ والجماعة السلفية وهي المدرسة المتزمتة المناهضة للحداثة، وتعزز من التفسير الصارم للعقيدة الإسلامية.

وقد تطور خلال السنوات القليلة الماضية نزاعات بين كبار مؤيدي المذهب الحنفي، والشبان الذين عادوا من التعليم الديني في البيئات الإسلامية الراديكالية على نحو متزايد، من أنصار المدرسة السلفية الأقل تسامحاً والأكثر تطرفاً للإسلام وقد أقلقت هذه المشاكل أعضاء المشيخة البكتاشية الألبانية التي تمارس النموذج الأكثر ليبرالية للإسلام، حيث وضعتهم في مواجهة مباشرة مع أنصار السلفية وإن كانت لا تزال قليلة نسبياً لكن الأحداث ستحملهم على التعامل مع هؤلاء الشباب بعين الريبة على أنهم إرهابيون محتملون .

تشعر القيادات الأوربية بالحرج من ولادة دول أوربية بأغلبية مسلمة في العقدين الأخيرين، البوسنة، وكوسوفا، ومن قبلهم ألبانيا خصوصاً

عند النظر إلى تنامي أعداد المسلمين الملتزمين، وانعكاسات ذلك على دول الجوار بلغاريا، مقدونيا، صربيا، واليونان التي تشكل جبهة المواجهة المكلفة بوقف الهجرة الإسلامية إلى أوروبا .

فعلى الرغم من أن دول الغرب لا يظهرون للألبان كأوروبيين أصليين من العداء ما يظهرونه للجاليات الإسلامية في بلدانهم، إلا أنهم لا يخفون رغبتهم في التصدي لتزايد انتشار الالتزام بتعاليم الإسلام بين المجتمعات الألبانية، وفرض أنماط الحياة الغريبة على المجتمع الألباني التي تتعارض مع قيمه الحضارية والثقافية، كشرط لقبولهم في المجتمع الأوروبي.

فمع تزايد التوجهات الإسلامية على اختلاف مذاهبها ومشاربها منذ سقوط الشيوعية في مناطق الألبان وازدياد عدد أتباعها، سعت القيادات الأوروبية ضمن مشروعها المسمى: تعزيز التكامل ومواجهة التطرف، إلى إيجاد بدائل من داخل توجهات الإسلام التقليدي الموروث كالبكتاشية أو حتى تلك التي تتسمى بالإسلام وتضمر له العداء للوقوف في وجه الصحوة الإسلامية والدعوة السلفية.

والبكتاشية خير من يمكن ترشيحه لمثل هذه المهمة فأفكارها المنحرفة وتاريخها الملوث، أدت دوراً فاعلاً باسم القومية في صياغة الوضع السياسي الألباني خلال فترة تمكنها بقيادة علي باشا يانينا، وهي

ترسخ المفاهيم العصرانية المناهضة للشريعة، كما أن عقيدتها الباطنية الرامية إلى الانحلال من التكاليف الشرعية تعد ميزة لها في نظر العلمانيين، ولهذا التلون في عقيدتها ومنهجها حرص الغرب على استعمالها كوسيلة لإضعاف الإسلام في بلاد الألبان ولا يزال الغرب يتوسم فيها القدرة على التأثير في الإسلام سلباً، ولعرقلة جهود المسلمين عن قيامهم بأمر هذا الدين.

- تطويع الإسلام بكل وسائل التحريف والتأويل والسفسطة لكي يساير الحضارة الغربية فكراً وتطبيقاً.

- إنكار السنة إنكاراً كلياً أو شبه كلي.

- التقريب بين الأديان والمذاهب، بل بين الإسلام وشعارات الماسونية.

- تبديل العلوم المعيارية أصول الفقه، وأصول التفسير، وأصول الحديث تبديلاً تاماً، وفرّعوا على ذلك إنكار الإجماع والاعتماد على الاستصحاب الواسع والمصالح المرسلة الواسعة كما يسمونها في استنباط الأحكام واعتبار الحدود تعزيرات وقتية.

- الإصرار على أن الإسلام ليس فيه فقه سياسي محدد وإنما ترك ذلك لرأي الأمة، بل وسعوا هذا فأدخلوا فيه كل أحكام المعاملات فأخضعوها لتطور العصور وجعلوا مصدرها الاستحسان والمصالح الواسعة.

- تتبع الآراء الشاذة والأقوال الضعيفة والرخص واتخاذها أصولاً كلية وهم مع اتفاقهم على هذه الأصول في الجملة تختلف آراؤهم في التطبيقات، وبعضهم قد يحصر بحثه وهمه في بعضها، وهذا الاتجاه على أية حال لا ضابط له ولا منهج، وهدفه هدم القديم أكثر من بناء أي شيء جديد[1]

---

١ ـ ظاهرة الإرجاء -الشيخ سفر الحوالي صفحة ٨٥ -٨٦ .

obeikandl.com